سردية القصيدة
في الشعر العربي القديم
بين "امرئ القيس" و"الأعشى"

د. نجلاء عبد السلام محمد نصير

الملخّص:

ورد لفظ السرد في المعاجم العربية القديمة بمعنى النسج وحسن السبك، وقد حفل الشعر العربي القديم بما يعرف بفن القص الشعري، فقد استطاع الشعراء أن يسجلوا في أشعارهم الأحداث والشخصيات والزمان، والمكان، والعقد، والحلول مما جعل من القصيدة السردية أحد أنماط الشعر العربي القديم فالسردية احتشدت في أشعارهم وأيامهم.

وفضلًا عن ذلك فإنه يمكننا أن نطلق على امرئ القيس أمير القصيدة السردية في الشعر العربي القديم، إذ حفلت معلقته بأكثر من قصة، وإذا كان امرؤ القيس قد وضع اللبنة الأولى للقصيدة السردية في الشعر العربي القديم فإن الأعشى استطاع أن ينقل الفن القصصي السردي إلى آفاق أرحب فتجاوز موضوعات الصيد والطرد والمعارك إلى رصد العادات والقيم المجتمعية مما أضفى على شعره سمة الواقعية حيث يمكننا أن نطلق عليه رائد الواقعية الاجتماعية في ذلك العصر بحيث تفوق على امرئ القيس في هذا المنحى.

فالقصيدة السردية تسمح بانفتاح النص الشعري على آفاق مغايرة ومن ثم تكون فضاءً للحكي فترصد حركات الشخصيات والأحداث والزمان والمكان دون أن يخل ذلك بطبيعة النص الشعري من لغة وإيقاع وتصوير.

ويهدف هذا البحث إلى :

_إلقاء الضوء على مفهوم مصطلح السرد قديمًا وحديثًا.

_ آليات السرد القصصي عند امرئ القيس.

_آليات السرد القصصي عند الأعشى .

_خاتمة لأهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحيّة:

القصيدة السردية، القيم المجتمعية، امرؤ القيس، الأعشى، السبك، السرد.

The Narrativity of the Poem in Ancient Arabic Poetry: Imru’ al-Qais vs. Al-A'sha

Dr. Najla Abdul Salam Mohammed Nusair
Literature and Criticism

Abstract:

In old Arabic dictionaries, narration is used in the sense of weaving. The ancient Arabic poetry includes the art of poetic poetry where poets were able to record in their poetry events, people, time, place, problems and solutions, making the narrative poem one of the styles of ancient Arabic poetry. Narrativity is apparent in their poetry and their *Ayyām* (days). Moreover, Imru’ al-Qais can be called "the father of the narrative poem" in ancient Arabic poetry. His *Mu'allaqah* (long poem) includes more than one story. If Imru’ al-Qais was the founder of the narrative poem in ancient Arabic poetry, it was Al-A'sha who developed it writing a more realistic poetry on topics, other than hunting and battles, such as the habits and values of community. He was the leader of social realism at that time, surpassing Imru’ al-Qais. The narrative poem is thus a narrative space for the movements of characters, events, time and place with the poetic nature of the text, i.e. language, rhythm and imagery, intact.

The main aims of this paper are to shed light on:

- The concept of narration past and present
- Mechanisms of narration in the poetry of Imru’ al-Qais
- Mechanisms of narration in the poetry of Al-A'sha
- Conclusion

Keywords:

The narrative poem, societal values, Imru’ al-Qais, Al-A'sha, coherence, narration

ماهية السرد قديمًا وحديثًا:

وردت لفظة **السرد** في القرآن الكريم في قوله تعالى : " أَنِ اعْمَلْ سَابِغَات وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير"(١)

ورد في لسان العرب (٢) سرد: **السّرد** في اللغة : تقدمة شئ إلى شئ تأتي به متَّسقًا بعضه في أثر بعض متتابعًا، سرد الحديث ونحوه يسرده سردًا إذا تابعه . وفلان يسرد الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له .وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم :لم يكن يسرد الحديث سردًا أي يتابعه ويستعجل فيه .

مما سبق يمكن القول: إن السرد لغويًا هو ترابط الأحداث واتساقها وتتابعها **وعلم السرد (Narratology)** مصطلح نقدي حديث يعني "نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية "(٣)

فضلًا عن ذلك يعد علم السرد "هو دراسة القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها، وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه ،وتلقيه ، ويُعد علم السرد أحد تفريعات البنيوية الشكلانية كما تبلورت في دراسات كلود ليفي – ستراوس، ثم تنامى هذا الحقل في أعمال دارسين بنيويين آخرين،منهم: البلغاري تودوروف، الذي يعده البعض أول من استعمل مصطلح "ناراتولوجي" (علم السرد)،والفرنسي ألغراد جوليان غريماس،والأمريكي جيرالد برنس. وفي فترة تالية تعرض لتغيرات فرضها دخول تيارات فكرية ونقدية أخرى .أما تحت مظلة ما بعد البنيوية ،كما في أعمال الفرنسي رولان بارت ،أو من خلال الماركسية _التي تعرف أحيانًا بما بعد الماركسية _كما في أعمال الأمريكي فريدريك جيمسون...."(٤)

ومجمل القول :إن **علم السرد** (٥) هو :

–علم القصة عند تودوروف

–دراسة السرد ،والبنيات السردية

_تقنيات خطابية في الرواية .

آليات السرد القصصي عند امرئ القيس(*):

مما لاشك فيه أن امرأ القيس يُعد من أشعر الناس كما قال :لبيد (٦)

وقد قال العلماء بالشعر :إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال مالم يقولوا ،ولكنه سبق إلى أشياءفاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ؛ لأنه قيل أول من لطف المعاني ،واستوقف على الطلول ،ووصف النساء بالظباء والمها والبيض ،ويشبه الخيل بالعقبان ....."(٧)

فضلًا عن ذلك استطاع امرؤ القيس أن يقدم لنا متوالية قصصية من خلال معلقته الشهيرة حيث بدأها"بذكر الديار والدمن والآثار،فبكى وشكى،وخاطب الربع،واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببًا لذكر أهل الظاعنين عنها..."(٨)

فالشاعر استهل القصيدة بأن استوقف الأصحاب وبكى الديار يقول (٩) :

قفانبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ

فتوضح فالمقراة لم يَعفُ رسمهاَ لما نسجتْها من جَنُوب وَشَمْأَلِ

إذا كان الشعر ديوان العرب فهل يمكننا القول:إن تداخل الأجناس الأدبية جعلت معلقة امرئ القيس أنموذجًا أزاح السرد "عن قوانين جنسه الأدبي ،وتوظيفه شعريًا في النص.... وإن دخول السرد القصصي إلى النص الشعري يتم لصالح موقف الشاعر من واقعه ورؤيته له "(١٠)

فالشاعر استوقف صاحبيه وسرد لهم نوستالجيا الحنين إلى الماضي واسترجع ذكرياته لتلك الديار رغم تلاعب الرياح بالمكان إلا أن تلك الذكريات حفرت في قلبه فالمكان"الدخول ، حومل ، توضح ، المقراة) والشخصيات تمثلت في (الشاعر ، صاحبيه) ويسترسل في سرده يقول :(١١)

وإنَّ شفائي عبرةٌ مهراقة فهلْ عند رَسمٍ دارِسٍ من مُعوَّلِ
كدأبكَ من أمِّ الحويَرثِ قبلها وجارتها أمَّ الربابِ بمأسل
إذا قامتا تضوّع المِسك منهما نسيم الصبّا جاءّت بريّا القُرنْفل

ونجد الشخصيات حاضرة هنا في "الأصدقاء، وأم الرباب، وأم الحويرث"، فالشاعر يرى أن البكاء يضمد جروح قلبه، فالراحة تكمن في الحنين والبكاء، وكأننا أمام قصة قصيرة تماهت فيها الشخصيات والأحداث والمكان والزمن هنا هو زمن الاسترجاع حيث استوقف أصحابه وقص عليهم قصة الديار وأهلها ، ويسترسل الشاعر في سرده للأحداث حين يذكر يوم بدارة جُلجُل يوم عقر للعذارى ناقته الطيبة اللحم الكبيرة الحجم يقول :

ألا رُبَّ يومٍ لك منْهُنّ صالِحٍ ولا سيّما يومٍ بدارة جلْجل
ويوم عقرتُ للْعذارَى مَطِيَّتي فيَاعجبً مِنْ كورها المُتحمَّلِ
فظلَّ العَذّارى يرْتمين بِلَحْمها وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدّمقْس المُفَتَّلِ

ثم ينقلنا الشاعر لقصة احتياله لرؤية عنيزة ،وكيف صور مغامرته السابقة يوم دارة جلجل فالشاعر يلقي للمتلقي متوالية قصصية هو بطلها "وكشف فيه عن مغامراته حين دخل الخدرخدر عُنيزة "(١٢)

ويوم دخلت الخِدْر خِدر عُنيزَةٍ فقالت لك الويلاتُ إنَّك مَرجلي
تقول وقد مال الغبيطَ بنا معًا عَقَرَت بعيري يا امرأ القيس وأنزِلِ
فقلتُ لها سيري وأرخى زمامه ولا تبعديني من خيـالك المعـلّلِ

فالشاعر يسرد للمتلقي كيف اقتحم خدر عُنيزة ، وكيف صدته وطلبت منه النزول من الهودج ؛ودعت عليه ، إلا أن صدها لم يغير وجهته، وظل معها مطالبًا إياها أن ترخي زمام ناقتها ؛ لينال بغيته منها من لمس وعناق.

ومهما يكن من أمر فقد وظف الشاعر عنصر الزمن في تلك القصة حين ذكره ثلاث مرات بدأها بلفظة "يوم" ،ففي قوله " **يوم دارة جلجل** " هنا أوحى لنا الشاعر بأن كلمة "يوم " تعني النهار ، وفي قوله:" ويوم عقرت للعذارى مطيتي "اقتصر الزمن على وقت عقر الناقة،

وفي قوله :"**يوم دخلت الخِدر خِدر عنيزة** " فقد دلت كلمة يوم على اقتناصه للحظات المتعة مع عنيزة .

"فلوحة دخوله لخدر عُنيزة وما قالت له ...وما قال لها ...وهي أقوال توحي بالتصورات التي كانت تدور في نفسه ،وتوحي بما كان يتمناه من أحوال ،وما كان يريد أن يتحدث به مع صاحبته التي كانت حقيقتها في ذهنه واضحة متميزة _إرضاء لطموح ينازعه وتوثيقًا لصورة يرغب في تحقيقها، وقد أدت الصورة التي أدخلها الشاعر في ثنايا قصيدته إلى إيجاد تعليلات كبيرة عند دارس الأدب .....فهذه الصورة هي محاولات جديدة لتحقيق الذات ،واشباع لفردية ،ومحاولات إيجاد صيغة جديدة للخروج على الرتابة المعهودة في البناء الشعري .."(١٣) فضلًا عن ذلك كانت **الشخصيات** المحركة حاضرة في (العذارى ،عنيزة ، ياء المتكلم) وكأن الشاعر يلعب دور الراوي العليم ،ولكنه لم يعرض لنا البناء الداخلي أو الخارجي للشخصيات، ولكنه اكتفى بذكر الأسماء المحركة للأحداث فقط.

كما لعب الحوار دورًا هامًا بين الشخصيتين الرئيسيتين، وهما "الشاعر وصاحبته "ويتجلى ذلك في قول الشاعر : " **فقالت لك الويلات –تقول وقد مال الغبيط _ فقلت**" ومهما يكن من أمر فقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا لوحة قصصية لكنها تفتقد إلة العقدة والحل .

ثم ينتقل الشاعر إلى قصة أخرى يسردها للمتلقي في عشرسن بيتًا بطلها هو وصاحبته التي كنى عنها "**ببيضة الخِدر**" يقول : (١٤)

وبيضة خِدرٍ لا يُرام خباؤُها تمتعتُ من لهوٍ بها غير مُعْجّلِ
تجاوزتُ أحراسًا وأهوالَ معشر على حراصٍ لو يُشْروُّن مقتلِ
إذا ما الثُريا في السماءتعرضت تعرُّضَ أثناء الوشاح المُفَصلِ
فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ
فَقَالَتْ : يَمِيْنَ اللهِ مَا لَكَ حِيْلَةٌ وَمَا إنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلِي
خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيّ وانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ
هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَليَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ
مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ
كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

إلى قوله :

ألاَّ رُبَّ خَصْمٍ فِيْكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيْحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِ

فالشاعر يقص لنا مغامرة جديدة مع امرأة ممنعة محصنة يحيط بها الحراس وذلك وإن دل على شئ يدل على رفعتها وسمو مكانتها الاجتماعية ،فتلك المرأة لا يطمح طامح للتقرب منها وذلك لكثرة الحراس حولها ،ولكن رغم هذا التحصين ومع تربص الأهل به لقتله ، إلا أنه استطاع أن يتسرب منهم ويصل إليها فراح يلهو بها على غير عجل ، ولا خوف من الحراس أو الأهل ؛بعد أن فجأها ودار بينهما حديث طويل وحوار بينهما في حاولة منه لاستقطابها نحو رغباته ،ومحاولتها صده ،ودفعه، ولكنه نجح في استقطابها

نحوه ؛فانصاعت لرغبته ،فخرجت معه ، وأخذت تخفي أثرهما بثوبها حين كانت تجره ورائها لتخفي أثر أقدامهم.

وجدير بالذكر أن أحداث تلك القصة من نسج خيال الشاعر فكيف تسرب من الحراس؟ وإن كان قد نجح في التسرب من الحراس فكيف فر من لأهل؟

ومما لاشك فيه أن عنصر الزمن قد لعب دورا هاما في تلك اللوحة "وامرؤ القيس على العهد به هنا،وفي شعره عامة ،من الوصف المبين ، والتحديد الدقيق الذي يعّين المدى ويحدد المقدار ، فلم تكن مغامراته ليلًا وكفى ، بل ليلًا فاحم السماء ،تألقت فيه نجوم الثريا"(١٥)

ومهما يكن من أمر فقد استطاع الشاعر أن يحدد لنا الزمان بدقة وهو آخر الليل ، وتعدد المكان هنا بين (الخدر–ساحة الحي –بطن الوادي) وقسم الشخصيات إلى رئيسية تمثلت في (بيضة الخدر_الشاعر) فبيضة الخدر رسم لها بناء خارجيا فهي نؤوم الضحى على وثير يتضوع منه فتات المسك وكأنه يشير لرفاهية تلك المحبوبة وعلو شأنها وشأن قومها فهي من علية القوم المحصنة الممنعة ؛ولكنه نجح في الوصول إليها والتلذذ بها ،كما وصفها وصفًا حسيًا ليشيد بجمالها .

ومن الشخصيات الثانوية (الحراس _معشر).

فضلًا عن ذلك يمكن القول إن : "هذا اللون الشعري الذي انفرد به امرؤ القيس وبهذه الهيئة الشعرية القائمة على الحوار المفتعل ،تمثل الطريقة التي كان يتبعها الشعراء الآخرون الذين أرادوا أن يعبروا عن أفكارهم فاهتدوا إلى هذا السبيل ،واستخدموا الصيغ المألوفة ،والأساليب المتبعة ،وطريقة الحوار التي أصبحت نهجًا تقليديًا معروفًا ،وتصبح المرأة فيه هي الطرف المحرك والأداة الدافعة لكل توجيه يحاوله الشاعر ...."(١٦)

وكما سرد لنا امرؤ القيس قصص مغامراته يرسم لنا لوحة سردية أخرى امتزج فيها الإبداع مع العامل النفسي حيث يصور لنا وحدته وشجونه المتفرد وقد حضر عنصر الزمن من الوهلة الأولى يقول :(١٧)

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَـهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِـي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـى بِصُلْبِـهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ

ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِـي بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَـلِ

فَيَـا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَـهُ بكل مُغارِ الفتل شُدَّتْ بيذْبلِ

لقد استطاع امرؤ القيس أن يصور للمتلقي ألم الوحدة ، والشجون وما يمثله الليل من ثقل فشبهه بموج البحر في تراكمه وشدة ظلمته .

كما دار بينهما هذا الحوار حين جسد الليل في قوله:" **فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـى بِصُلْبِـهِ**" ثم يخاطبه مناديا **وآمرًا له : " ألاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ ألاَ انْجَلِـي**" ويصور لنا مدى شجونه الذي يلازمه في الليل والصباح حين يخاطب الليل بقوله:" **بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ منِكَ بِأَمْثَـلِ**" فالليل والصبح عند الشاعر سواء فالهموم والأرق لا يلملمون جعبتهم ويرحلون عنه.

ومن ثم يخاطبه معاتبًا:" **فَيَـا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَـهُ**" فشبه الليل في طوله كانه شد بشئ مفتول قوي إلى جانب هذا الجبل "**بكل مُغارِ الفتل شُدَّتْ بيذْبلِ**" ومهما يكن من أمر فقد برع امرؤ القيس في الوصف فالسرد "لا يقدر على تأسيس كيانه بدون وصف "(١٨) ومن ثم " فالوصف ألزم للسرد"(١٩) ثم ينتقل إلى رسم لوحة الصيد وكأننا أمام قصة متكاملة مصورًا خروجه بفرسه محددا عنصر الزمن في قوله:(٢٠)

وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَـلِ

فالزمن هو الصباح الباكر، كما يرسم لنا البناء الخارجي للفرس بوصفه وصفًا دقيقًا لسرعته وقوته في قوله:(٢١)

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

إن لوحة الصيد "تعبر عن البعد القصصي الذي التزم به الشعراء في هذا المجال لأن الشاعر في كل جزء من أجزاء اللوحة كان يقع تحت قبضته رؤياه الشعرية ،ويخضع لنمط أسلوبي معين، يمارس من خلاله المنهج الذي أصبح يسلكه في كل حركة، وعند كل موقف، ابتداءً من الصورة الأولى وانتهاءً بانتصاره، ومهمة الشاعر في هذا المجال تعتمد القصة التي تبدأ بوضع الخطوط الأولى، ورسم شخوص هذه القصة من خلال الأحداث وإحاطتها بالظرف الزماني والمكاني ،ومحاولة وضع النهاية لتي تنتهي بها الأحداث"(٢٢)

وبعد أن يعرض لنا امرؤ القيس قصة من قصص الصيد والطرد لعب فيها الزمان دوره فقد بدأها في الصباح الباكر وتعدد الانتقال في المكان بمغامرة الصيد والطرد فضبه قطيع البقر في مشيتهن وطول أذنابهن بالعذارى يقول(٢٣)

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَبَّلِ

وبعد أن يسرد لنا في تناغم رحلة صيده ينقلنا لقصة أخرى صور فيها المطر المنهمر في الصحراء ليضع لنا قفلة لهمومه التي عرضها سالفًا ، فمالمطر المنهمر هو الدواء ، والشفاء لتلك الهموم، يقول:(٢٤)

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيْكَ وَمِيْضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ أهانَ السَّلِيْطَ في الذُّبَالِ المُفَتَّلِ
قَعَدْتُ لَهُ وصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وبَيْنَ إكامٍ بُعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ
فوأَضْحَى يَسُحُّ المَاءَ عن كلَ فيقةٍ يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

إن هذا الوصف الدقيق لنزول المطر ومن ثم "تميز السرد الشعري عن السرد الروائي بخاصية أن السرد في الشعر كون واسطة بين التشكيل اللغوي والبنية النصية ،أما السرد الروائي يكون هو ذاته البنية النصية ،وكل سرد هو جمل دلالية تقوم بين طرفيها العلاقة الدلالية"(٢٥)

ومهما يكن من أمر فقد استطاع امرؤ القيس أن يعرض لنا متوالية قصصية يمكن تقسيمها كالتالي:

١–الحنين إلى الماضي ويتمثل ذلك في الأبيات من ١:٩

٢_ مغامرات العشق الممنوع ويتمثل ذلك في الأبيات من ١٠ :٤٣

٣_ الصيد والطرد ويتمثل ذلك في الأبيات من ٤٤:٦٩

٤_جنة المطر ويتمثل ذلك في الأبيات من ٧٠:٨١

وإذا انتقلنا إلى **آلية السرد في شعر الأعشى(*)** وهو "كسائر الشعر الجاهلي _يغلب عليه اللون القصصي الحماسي ، وأقصد بذلك أن الشاعر فيه أدني إلى القصاص الذي يسجل أحداث العصر وقيمه ،فشعره يصور عصره بأكثر مما يصور شخصه ،وإذا استثنينا مقدمات القصائد التي يتحدث فيها الشاعر عن حبه ولهوه ،وجدنا سائر الشعر بذلك في مواضع لا تمت إلى حياة الشاعر بسبب،إلا بمقدار صلة الفرد بالجماعة ،وهي صلة قوية في ذلك الوقت لا شك تكاد تفني شخصية الفرد بل إن أهمية المقدمات نفسها كانت تجري في معظم الأحيان على أسلوب مرسوم معروف، يصور تقاليد العصر الأدبية أكثر من تصويره لأسلوب الشاعر ووقته "(٢٦) يقول في مدح شُريح بن حصن بن عمران بن السمؤال بن عاديا فالسموأل يضرب له المثل في الوفاء حيث كان ينزل **تيماء** ببادية **الشام** وكان بها حصنه المعروف **بالأبلق** وقد سرد لنا الأعشى قصة تنازله عن ولده حتى أنه قُتل أمام عينيه مقابل

أن يؤدي الوديعة التي استودعها إلى أهل امرئ القيس، ومن هنا ضرب به المثل العربي يقول(٢٧)

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ حِبالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدّ أظْفارِي
قَدْ طُفْتُ ما بَينَ بَانِقْيَا إلى عَدَنٍ وَطالَ في العُجْمِ تَرْحالي وَتَسيارِي
فكانَ أوْفاهُمُ عَهْداً، وَأمنَعَهُمْ جاراً أبوكَ بعرفٍ غيرِ إنكارِ
كالغيثِ ما استمطرهُ جادَ وابلهُ وعندَ ذمتّهِ المستأسدُ الضّاري
كنْ كالسّموألِ إذْ سارَ الهمامُ له في جحفلٍ كسوادِ اللّيلِ جرّارِ

إلى قوله :

فَقالَ: تُكْلٌ وَغَدْرٌ أنتَ بَينَهُما فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ

إلى قوله :

فقالَ تقدمةً ، إذْ قامَ يقتلهُ أشرفْ سموألُ فانظرْ للدّمِ الجاري

وقوله :

وَقالَ: لا أشْتَرِي عاراً بمَكْرُمَة فاختارَ مكرمةَ الدّنيا على العارِ

يقول الأعشى لا تتركني اليوم يا شُريح في سيور القيد بعد أن علقت أظفاري بحبالك ،فقد طفت الآفاق وترددت بين "بانقيا" "عدن"،وبلاد العجم ،فلم كأبيك وفاء للعهد وحماية للجار وعطاءه كالغيث، وك نلي بوفاء السموأل إذا سار له (الحارث) في جحفل جرار كسواد الليل ،لا تدرك العين مداه ويتجلى الحوار حين خيره الحارث بين أمرين كلاهما ذُل .فأجابه : قل ما شئت يا حارث ،فقال له اختر لنفسك بين الثكل والغدر ،وما فيهما حظ لمختار ،فنجح الشاعر في هذا الحوار أن يصور غدر وجبروت الحارث ،وعلى النقيض يظهر وفاء السموأل وصبره ،ويلعب الشاعر دور الراوي الخفي يحرك شخصيات القصة ببراعة وتتصاعد الأحداث لنصل للعقدة وهي الخيار الصعب فيتخير قتل الابن ولا يضحي بالأسير فهذه

القصيدة تعد واقعية اجتماعية تعالج موضوعا هامًا ألا وهو الوفاء فالشاعر "يحاور ويداور ويدافع عن القتيل والعشير"(٢٨)

والمرأة حظيت بنوع من القدسية في شعر الأعشى فهو في مطلع معلقته يقول في **هريرة** التي ترمز إلى "**الشمس** " وهي من الآلهة المعبودة ، فزوالها ورحيلها هو المعادل الموضوعي لانقطاع الخير والنخصب والنماء وبمعنى أدق هو الموت ، فالأعشى في حالة يرثى لها من مشهد الوداع والبكاء على الأطلال كما لعب عنصر المفارقة دوره حين يسأل السؤال الاستنكاري "وهل تطيق وداعًا أيها الرجل"

فالمقدمة الطللية هنا قصة قصيرة سرد لنا الشاعرمن خلالها ألم الفراق وأثره الذي يعادل الموت وحضرت الشخصيات التي تمثلت في (ضمير الغائب_هريرة _الرجل). يقول (٢٩)

ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجلُ؟
غَرّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُها تَمشِي الهُوَينا كما يَمشِي الوَجي الوَحِلُ
كَأنّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جارَتِهَا مرّ السّحابةِ ، لا ريثٌ ولا عجلُ
تَسمَعُ للحَلي وَسْوَاساً إذا انصَرَفَتْ كمَا استَعَانَ بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ
ليستْ كمنْ يكره الجيرانُ طلعتها ولا تراها لسرّ الجارِ تختتلُ
إذا تُعالِجُ قِرْناً سَاعةً فَتَرَتْ وَاهتَزّ منها ذَنُوبُ المَتنِ وَالكَفَلُ
مِلءُ الوِشاحِ وَصِفْرُ الدّرْعِ بَهكنَةٌ إذا تَأتّى يَكادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ
صدّتْ هريرةُ عنّا ما تكلّمنا جهلاً بأمّ خليدٍ حبلَ من تصلُ؟
أأنْ رأتْ رجلاً أعشى أضر بهِ لِلّذّةِ المَرْءِ لا جَافٍ وَلا تَفِلُ

إلى قوله:

قالتْ هريرةُ لمّا جئتُ زائرها وَيْلي عَلَيكَ، وَوَيلي منكَ يا رَجُلُ

فالحوار الذي دار بين الأعشى وهريرة يوضح لنا العقدة هو صد محبوبته عنه ويتجلى ذلك في قوله :

"وَيْلي عَلَيكَ، وَوَيلي منكَ يا رَجُلُ" ، كما وصف نفسه بأنه أضر به الدهر وأصابه بفساد العقل **ويتجلى ذلك في قوله** :

أإنْ رأتْ رجلاً أعشى أضر بهِ لِلّذّةِ المَرْءِ لا جَافٍ وَلا تَفِلُ

فضلًا عن ذلك أكثر الأعشى من تصوير رحلاته واستطرد في الحديث عن الثورالوحشي حين سرد لنا شوقه لأهله بنجران يقول:(٣٠)

يَومَ قَفَّت حُمولُهُم فَتَوَلَّوا قَطَّعوا مَعهَدَ الخَليطِ فَشاقوا

ويصور لنا الثور الوحشي بقوله(٣١):

فَوقَ مُستَبقِلٍ أَضَرَّ بِهِ الصَيـ فُ وَزَرُّ الفُحولِ وَالتَنهاقُ

فالزمن هنا هو فصل **الربيع**

أَو فَريدٍ طاوٍ تَضَيَّفَ أَرطا ةً يَبيتُ في دَفِّها وَيُضاقُ
أَخرَجَتهُ قَهباءُ مُسبِلَةُ الوَد قِ رَجوسٌ قُدّامُها فُرّاقُ
لَم يَنَم لَيلَةَ التَمامِ لِكَي يُصـ بِحَ حَتّى أَضاءَهُ الإِشراقُ
ساهِمَ الوَجهِ مِن جَديلَةَ أَولحـ يانَ أَفنى ضِراءَهُ الإِطلاقُ

فرصد لنا الشاعر معاناة الثور الوحشي "إنّ الثور (القمر) ،يعيش في محنة أولى حين يتعرض للمطروالبرد ،وليل الشتاء المظلم الكثيف الغيوم ذو الطبيعة الشريرة يقوم بعدوان على الإله (القمر) الثور ،فيلجأ إلى الشجرة الإلهة الخيرة ليحتمي بها،غير أن الشمس تداهمه هذه المرة ضمن نزاعه معها ،فتكون محنته الثانية التي تجعله يحمل نفسه على الفرارإلى مكان آخر،أما المحنة الثالثة التي يتعرض لها الثور في مواجهة الصياد وكلابه، فلا تخرج عن دائرة صراع

القمر من جديد مع مجموعة الكواكب في السماء،وفيها ينتصر الخير على أعدائه"(٣٢)

ومن يدقق النظر يجد أن الأعشى استطاع أن يغزل لنا بشعره قصة كاملة امتزجت فيها الأسطورة مع دقة الوصف لتكون لنا قصة زمانها فصل الربيع والأشخاص هم: الثور الوحشي _الشجرة_الراعي) والعقدة هنا محاولة فرار الثور الوحشي من كلاب الصيد فالثور هوالشخصية المحورية التي حركت الأحداث.

"فالشعر العربي امتدادًا قصصيًا واضحًا من حيث الأداء والتناسق والأفكار ،وقد ظلت أشكال هذه القصص ترتسم في أغراضه ،وتتضح في معالجاته، وتتحدد من خلال معانيه ،وظل الشعراء ينتهجون هذا المنهج ،ويسلكون هذا المسلك التقليدي في الصياغة والمتابعة من أجل الحفاظ على البناء القصصي المرتبط بحياتهم ،والمستمد من واقعهم الاجتماعي والفكري والحياتي، فأيام العرب زخرت بإشارات واضحة لوقائع وأحداث ،كما وقفت عند رموز عللت في بعض الأحيان تعليلات مقاربة ،ولكنها في الحقيقة كانت تمثل بقايا أساطير ،وشخوص أخبار انقرضت أسبابها ،وانقطعت سلسلة رواتبها وبقيت تاخذ دورها في الحديث والمناسبة والاستشهاد .."(٣٣)

ومهما يكن من أمر فديوان الأعشى حافلًا بالقصص "فللشاعر أسلوب يميزه عن سائر الجاهليين، ولا يكاد يجاريه فيه إلا امرؤ القيس ،فهو يسوق في الغزل في كثير من الأحيان على صورة حوار ،يعرض فيه ما دار بينه وبين صاحبته من حديث ، وقد يحكي لنا قصة ،كيف بعث إليها برسول خبيث داهية لا تعجزه الحيلة ،وكيف تلطف هذا الرسول في الدخول إليها والإفلات من الرقباء ..ولم يزل ينازعها الحديث ويقيم عليها الحجة ،ويضيق عليها سبل القول ،عليه حينًا ...حتى نزلت على ما يريد، ورضيت أن تضرب

معه موعدًا للقاء الأعشى بعد أن دلته على السبيل المأمون لتجنب عيون الرقباء، ويدخل إليها الأعشى فيصف ما كان بينه وبينها من معاتبة ومجون"(٣٤)

ويمكننا القول إن :"إفادة الأجناس الأدبية بعضها من البعض الآخر ينظر إليه من جهة الجنس الأدبي المستفيد فحين يستغل الشعر أدوات القصة أو الرواية التشكيلية كالسرد القصصي فإن هذا يتم بإزاحة السرد عن قوانين جنسه الادبي وتوظيفه شعريًا في النص .....وإن دخول السرد القصصي إلى النص الشعري يتم لصالح موقف الشاعر من واقعه ورؤيته له "(٣٥) فالشعر أفاد من آليات السرد كما عرضت سالفًا لمعلقة امرئ القيس ومقتطفات من شعر الأعشى . فبناء القصيدة الذي يبدأ من "الوقوف على الطلل يستحيل عند الشاعر إلى حركة صراع داخلية عنيفة ، تعيد إلى نفسه الزمن، وتخلق دوافع النزوع إلى الابتعاد عن هذا الجو ..وهذه الحالة تولد عند الشاعر قوة الاندفاع لتخطي المرحلة ،والتحرك نحو موقف جديد ،والتواصل من أجل استكمال لوحة السرد القصصي لتاخذ الصورة أبعادها وتستكمل حلقاتها ...ولعل اختيار صورة الصياد المتوثب ،وانتقاء الوقت الذي تستظل فيه ، وتوقيت الزمن الذي يغلب عليه الليل ،واصطحاب هذا الجو المطر الشديد والظلام الدامس ،إلى جانب انتصار الصياد المتربص بكلابه الجامحة المدربة ،وارتقابه لخيوط الفجر وهي تتسلل عبر جفنات الرمل ،وقد أشبعها المطر فانهارت جوانبها على الثور الذي شبهت به الراحلة وهذه الصورة، وهذا التسلسل القصصي ،وهذه الحركات المزدحمة ،والأشكال المتوثبة التي يشد بينها توقع الحدث ،ويحكم ترابط المشهد بين جزئياتها قد أعدت بإحكام ،ونسجت وفق تصور قصصي بارع ..."(٣٦)

وقد دللت على وجود السرد في قصائد الشعر العربي القديم من خلال "تشكيلات لغوية تجعل النص أكثر انفتاحًا على الذات والعالم"(٣٦)
ولا حظت أن "النص السردي يهب نفسه للمتلقي في توافق مدهش يدعوه لاحتوائه مرة واحدة ، حتى يوشك على امتلاكه واختزان أبرز معالمه "(٣٧)
فالسرد الشعري كما يرى د.محمد فكري الجزار يعد "آليات إنتاج شعرية تعتمد على تشكيل لغوي لمادة "الفعل" و"الفاعلون" والوظائف و"العوامل"،كما يتميز "السرد الشعري عن السرد الروائي بخاصية أن السرد في الشعر يكون واسطة بين التشكيل اللغوي والبنية النصية ،اما السرد الروائي يكون هو ذاته البنية النصية،وكل سرد هو جمل دلالية اقوم بين طرفيها العلاقة الدلالية"(٣٨)
وبالموازنة بين معلقة امرئ القيس ومقتطفات من شعر الأعشى نجد أن:
السرد في تجربة كل من **امرئ القيس** و**الأعشى** يأخذ المنحى الجزئي فغلبت عليه الرؤية الجزئية والتفاصيل، ويقترب من القصة في الاقتراب من لحظة التنوير وهذا ما حدا بإدوارد الخراط أن يطلق عليه مصطلح (**القصة القصيدة**) وأطلق عليها الكتابة غير النوعية ،أي الكتابة التي تشتمل على الأنواع التقليدية، حيث تشتمل عليها وتحتويها في داخلها ،وتتجاوزها لتخرج منها الكتابة الجديدة :قصة ،مسرحًا ....."(٣٩)
ومجمل القول إن امرأ القيس استطاع أن يضع اللبنة الأولى للسرد القصصي في الشعر العربي القديم ولكن الأعشى طرق الأغراض الشعرية التي طرقها امرئ القيس ولكنه تفوق عليه في سرد القيم المجتمعية مما جعله يتفوق على امرئ القيس في ذلك الغرض ، وإذا كان امرؤ القيس قد انكب على ذاته وسرد لنا في معلقته تجربة وجدانية فإن الأعشى تفوق عليه في حضور الآخر .

وإذا كان امرؤ القيس نجح في عرض الزمان والمكان والشخوص ؛لكن الأعشى تفوق عليه في حضور المكان عنده ؛فقد كان الشعر عنده زادً يومه.

مصادر ومراجع البحث:

١_ القرآن الكريم سورة سبأ الآية : ١١
٢_ابن منظور الأفريقي المصري، مج٤ ج٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب٢٠١٤ ص١٦٥
٣_د.عز الدين إسماعيل الأدب وفنونه ،دار الفكر العربي ١٩٧٦م،ط٦،ص:١٨٧
٤_ينظر دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا ،د.ميجان الرويلي،د.سعد البازغي،نشرالمركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب،ط٢٠٠٢،٣م،ص١٧٤
٥_د.سعيد علوش، معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،دارالكتاب اللبناني بيروت سو شيريس الدار البيضاء ١٩٨٥م ،ص:١١١
٦_ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع ٢٠٠٩م ص:٨٢
٧_نفسه والصفحة
٨_ابن قتيبة : الشعر والشعراء،تحقيق وشرح أحمد محمد شاكرج١،دار المعارف ط٢، القاهرة ١٩٦٧م،ص ٧٤

(*) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، كما لقب بالملك الضليل، ولقب بامرئ القيس، وذو القروح اسمه حندج ربيعلى الفروسية وحظي بالكثير من مقومات حياة الرفاهية في بيت أبيه، تعلم الشعر من خاله المهلهل فأجاده وبرز فيه سن مبكرة. وعاش حياة الصعلكة، وبقي كذلك على رغم زجر أبيه له حتى طرده، وقد استخدم شعره في حياته اللاهية، فتغنى بالفتيات وشبب بالأسديات الصعلكة وتشرد. وحين بلغه قتل بني أسد لأبيه قال قولته المشهورة):."اليوم خمر وغدًا أمر" ثم أمضى بقية حياتها يجمع الجموع، ويستعدي الرؤسا والملوك تحقيقا لثأره حتى وصل إلى ملك وعند عودته من القسطنطينية أصيب بمرض غريب وتوفي في الطريق. مات سنة ٨٠ قبل الهجرة ٥٦٥

للميلاد ينظر :شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ،اعتنى بجمعه وتصحيحه الأستاذ: أحمدبن الأمين الشنقيطي،دار الكتب العلمية بيروت_لبنان ص٢ وما بعدها

٩_انظر الشنقيطي : شرح المعلقات العشر ، ص ٥٨

١٠_د.محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش ،القاهرة ،إيتراك للنشر والتوزيع ،٢٠٠١م ط١،ص: ١٢٦،١٢٧

١١_الشنقيطي ،شرح المعلقات العشر ص: ٥٩

١٢_ديوان امرؤ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة دارالمعارف١٩٥٨ص١٠_١٢

١٣_ د.نوري حمودي القيسي :لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي ،منشورات دار الجاحظ للنشر وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٠م ص:٩٠

١٤_نفسه ص:١٦:١٣

١٥_على النجدي ناصف: القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، القاهرة ،دار النهضة للطباعة والنشر (د:ت) ص : ٥٨

١٦_د.نوري حمودي القيسي :لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي ،منشورات دار الجاحظ للنشر وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٠م ،ص:٦٦

١٧_ديوان امرؤ القيس ص:١٨

١٨_جيرار جينيت :حدود السرد ، ترجمة بن عيسى بو حمالة ،طرائق التحليل السردي ، اتحاد كتاب العرب ، المغرب ، الرباط ١٩٩٢م ، ص: ٧٦

١٩_د. عبد الملك مرتاض:ألف ليلة وليلة دراسة سيميائية الحكاية ، بغداد دار الشئون الثقافية ١٩٨٩م ،ص ١٠٨

٢٠_نفسه ص: ١٩

٢١_نفسه والصفحة

٢٢_د. نوري حمودي القيسي : لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي ،منشورات دار الجاحظ للنشر وزارة الثقافة والإعلام بغداد _العراق ١٩٩٨٠ ص:١٥

٢٣_ديوان امرؤ القيس ص: ٢٢

٢٤_نفسه ص: ٢٤

٢٥_د.محمد فكري الجزار :لسانيات الاختلاف،الهيئةالعامة لقصورالثقافة مصر ١٩٩٥ص٢٢٤

(*) الأعشى هو أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل بن عوف بن سعدبن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل...انظر ديوان الاعشى الكبير "ميمون بن قيس" شرح وتعليق د.محمد حسين ،نشر مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، المقدمة(أ)

٢٦_د. محمد حسين :ديوان الأعشى ص _ث_

٢٧_ديوان الاعشى ١٧٩ وما بعدها

٢٨_خليل شرف الدين،الموسوعة الادبيةالميسرة،الأعشى، دارالهلال للطباعة والنشر ١٩٩٧ص٧

٢٩_دوان الاعشى :ص:٥٥

٣٠_ديوان الاعشى ص :٢٠٩

٣١_نفسه ص:٢١١

٣٢_ديوان الأعشى ص(:_ب_م_)راجع القصيدة ٣٩ :١٣_٣٥ ،وراجع كذلك القصائد ١٢ :١١_١٦ ،٢٤: ٢٨ ،٩:٥:٢٢

٥٤ :١٤:٤، ٧٨ : ١٣:٧

٣٣_د.عادل البياتي:كتاب ايام العرب،الفصل الثاني بين التاريخ والأسطورة:ص٧٧ ومابعدها

٣٤_علي البطل :الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ،ط٢،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ١٩٨٠م ،ص:١٣٣

٣٥_د.محمد فكري الجزار :الخطاب الشعري عند محمود درويش ص:١٢٦_١٢٧

٣٦_د.نوري حمودي القيسي :لمحات من الشعر القصصي ص:١٣ وما بعدها وينظر وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية لوحة الصيد.

٣٦_محمد زيدان: بناءات الحداثة،مجلة الشعر، القاهرة: ع١٠٥ ،أكتوبر ٢٠٠٢م ،ص: ٦٤

٣٧_د.صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت : عالم المعرفة أغسطس ١٩٩٢م ص: ٢٥٧

٣٨_د.محمد فكري الجزار :لسانيات الاختلاف،الهيئةالعامة لقصورالثقافة مصر ١٩٩٥ص٢٢٤

٣٩_إدوارد الخراط :آليات السرد في القصة القصيرة،فصول، مج٨ ديسمبر ١٩٨٩ص١٢٧